الكتابة ومفهوم الوحدة الصوتية بين الماضي والحاضر

Writing and the concept of acoustic unity between past and present

أ.م. د. بشرى حسين علي شُكر(*)

Dr. Bushra Hussein Ali Al-Shukur

abd901w34699@gmail.com

خلاصة البحث

تعد الكتابة أعظم إنجاز شهدته الحضارة الأنسانية بعد اللغة , فقد أبتكر الإنسان القديم رموزاً أو أشارات خاصة عبّر بها عن الأصوات التي تكلم بها في بقاع مختلفة من العالم القديم .

وقد أتخذت أشكالاً وصوراً ثم طورت إلى رموز ثابته ، إلى أن توصل إلى كتابة الحروف الألفبائية الهجائية.

وبسبب بعد المسافة بين الرموز المكتوبة والأصوات المنطوقة في أكثر اللغات , وضع علماء الأصوات الغربيون رموزاً صوتية دولية تعبر عن الأصوات المنطوقة بالفعل. وقد أضاف المستشرقون رموزاً إضافية لتمثيل (التنوعات النطقية) الأصوات العربية التي استعملها العرب في كلامهم وتحدث عنها علماء العرب القدماء في كتبهم , ولكن بغير رموزٍ تدل عليها. وتضمن البحث مطلبين الأول: الرسم الكتابي واشكاله ودواعي الأبجدية الصوتية، اما المطلب الثاني: فهو عن الكتابة الصوتية للفونيمات والألفونات.

الكلمات المفتاحية: أصوات منطوقة، أصوات مكتوبة، رموز صوتية، تنوعات نطقية، وحدات صوتية.

Abstract

Writing is the greatest achievement of human civilization after language. The ancient man invented symbols and special references through which he spoke of the voices he spoke in various parts of the ancient world, and took shapes and pictures and developed them into fixed symbols until he reached the writing of alphabetic alphabets. Because of

(*) وزارة التربية – ثانوية الاستقلال للمتفوقات

the distance between written symbols and spoken voices in the most universal languages, nearby sound scientists have developed international vocal codes that reflect the voices already spoken. The orientalists added other symbols to represent the "linguistic variations" of the Arabic voices that were mentioned in the words of the Arabs. The research included two requirements, the first: the written drawing and its forms and the reasons for the phonetic alphabet, while the second requirement is about the phonetic writing of phonemes and phonograms. Keywords: - spoken sounds, written sounds, voice codes, pronunciation variations, audio units.

المقدمة

حضـارات الأمـم ومدنيـات الشـعوب دليل حياتها , وعنوان مجدها , وميسـم رقيها , وقوام حياة الأمم يدعمه أمران أولهما : الجانب المعنـوي وهو الأهم وثانيهمـا: الجانب المادي المحسوس.

ولحضـارات الأمـم مظاهـر متعـددة تتمم حياتهـا وتكمـل حقيقـة وجودها , وتعـد اللغة والكتابة من أهم مظاهـر الحضارة والرقي في تاريخ الحضارات.

فاللغـة التـي تتشـارك فيهـا المجموعـة البشـرية هـي بالضبـط الأداة التـي يمكنها أن تتقاسم بها ذكريات تاريخها المشترك (اوستلر، ٢٠١١، ٣٣) ((ولـكل لغـة فرصـة لتحقيـق الخلـود, ولكن ليس معنى ذلك أنّها سـتبقى إلى الأبد))(اوستلر، ٢٠١١، ٣٤) إنّ اللغة لاتعرف الجمـود فهي أبدا في تغير مسـتمر بينما الكتابة جامـدة ثابتة محافظة , لـذا نرى فرقاً كبيراً بين الكتابة واللفظ المنطوق في أغلب لغات العالم.

وبعد أن انتشرت الكتابة بين الناس أخذت بالتطور عبر الزمن فقامت أولا على الاشـكال ثم تحولت إلـى رموز وحروف ولقد عَدّ العالم العربي « ابن خلدون « الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسـانية يقول : ((إنَّ الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية : وهو رسم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على مافـي النفس , فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهـو صناعة شـريفة)). (ابن خلـدون، د.ت، ٤٠١٧).

يـرى ابن فـارس (ت ٣٩٥ه) أنّ الكتابة توقيف مـن الله ناقلاً بعـض الروايات في باب القول عن الخط العربي وأول من كتب به يقول : ((يـروى أنّ أول مـن كتـب الكتـاب العربي والسـرياني والكتب كلها آدم عليه السلام , قبل موته , بثلاثمائة سـنة , كتبها في طين وطبخهُ , فلمـا أصاب الارض الغـرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه , فاصاب إسـماعيل عليه السلام الكتاب العربي)) . (ابن زكريا، د.ت، ١٠).

إنَّ الكتابـة صناعـة إنسـانية يقـول د . حسـام سـعيد النعيمـي: ((إنّ محاولـة التعبير

عـن الاصوات اللغوية بالرسـم لابـد أن تكون قـد جاءت متأخرة عن التعبيـر بالاصوات عن المعاني التي في النفـس)). (النعيمي، ١٩٩٨، ٣٩).

ويرى أنّ في كلام ابن خلدون المذكور أنفا ما يشير الى هذا المعنى , اذ جعل الكتابة ثاني رتبة في الدلالة اللغوية . (النعيمي، ١٩٩٨، ٣٩).

إنّ اللغـة مرتبة أولـى , وإنَّها ضاربة في القـدم , وهي سـابقة الكتابة يقـول العالم بايلز pyles: ((إنّهـا ضاربة بجذورهـا في أعماق الزمـن القديم , ولما بدأ الانسـان الكلام كان قد أوجـد حياة أخاذة منذ ذلك الحين , ومضى وقت طويـل قبل أن يبتكر نظاماً للإشـارات ينقشـها على الخشب أو الصخر أو ما اشبه ذلك تصوّر ما كان يقوله عندما كان يتكلم , لقد كانت الكتابة موازنـة باللغة , اختراعاً عبقريـاً جديداً لا يقل بريقـاً عن اللغـة نفسـها)) (النعيمي، ١٩٩٨، ٣٩).

وشمل البحث مطلبين الأول: تضمن الحديث عـن الرسـم الكتابي واشـكاله وتضمـن ثلاثة محاور: ١) اطوار الرسـمم الكتابي واشـكاله، ٢) دواعـي الأبجديـة الصوتيـة وضرورتها، ٣) الرمـز الكتابـي والصـوت المنطـوق. اما المطلـب الثانـي: فتنـاول الحديث عـن الكتابة الفونيميـة وكيفية رسـم الفونيمـات وتنوعاتها الصوتية(الألفونات) كتابة تعبر عن الأجراس الحركيـة للصوت وتمثـل الصـوت المنطوق تمثيـلاً صحيحـاً عـن طريـق وضـع رمـوز وعلامـات صوتيـة خاصة بكل صـوت. وهي الرموز الصوتية الدولية IPA .

المطلب الأول: الرسم الكتابي

١- أطوار الرسم الكتابي وأشكاله

لقد تباينت الأمم في التعبير عن اللغة بالرسم فمنهـا مـا عبّر عـن كل لفظة بصـورة خاصة سواء أكانت صورة المدلول أم خطوطاً خاصة بالكلمـة الدالـة , ونجـد ذلك فـي الهيروغليفية وفـي بدايـات الخط المسـماري .(ولفنسـون، ١٩٨٠، ٣٥) ومن أشـهر أمثلتـه اليوم الكتابة الصينيـة .(سوسـير، ١٩٨٨، ٤٤) ومنهـا ما عبر عـن الوحدات الصوتية الصغرى بخطوط ثابتـة تتكرر حيث تكـرر الصوت , وعلى ذلك أكثـر اللغـات المعروفـة اليوم ومنهـا العربية والانكليزية . (النعيمي، ١٩٩٨، ٣٩)

وقـد ذهب عدد مـن الباحثين إلى أنّ الكتابة مرت بأطـوار متعدده قبل أن تصـل إلينا على هـذه الصـورة التي نراها وهـي :أولاً : الطور الصوري، ثانياً : الطور الرمزي، ثالثاً : الطور المقطعـي، رابعـاً :الطور الصوتي، خامسـاً : الطور الهجائي . (ناصف، ١٩٧٣، ٣٥).

ظهر الرسـم السامي* لأول مرة في بلاد الكنعانيين* وانماز هذا الرسـم عن جميع أنواع الرسم المتداولة قبل ذلك بإنّه رسم هجائي بحت Alphabétique أي يرمـز كل حرف فيه إلى صـوت منفـرد . (وافـي، ٢٠٠٨، ٣٠).يقول "بروكلمان": ((يسـتخدم السـاميون الشرقيون , وهم البابليون والأشـوريون الخط المسماري المعقـد إلـى أقصى حـد والذي وضعه سـلفهم الذين كانوا قبلهم في بابل , وهم " السومريون" وعلـى العكـس مـن ذلـك يكتـب السـاميون

الغربيـون أبجدية مشـتركة , مكونة أصلاً من اثنين وعشـرين حرفاً, غير أنّها لاتعبر إلا عن الأصوات الصامتة بالاضافة إلى صوتي الواو والياء))(بروكلمان، ١٩٧٧، ٣٥).

ابتدأت الكتابة في سـومر القديمة* ومصر القديمة و نظام الكتابة فيهما تم تطويره بصورة مسـتقلة وهما مختلفان بشـكل واسع واحدة عن الأخرى.

وتمثـل الكتابـة الهيروغليفيـة حضـارة المصريين القدامـى وهـي واحـدة مـن أولى الحضـارات طـورت الكتابة بطريقـة خاصة تختلف جدا عن السـومرية وطورت في حوالي الوقت نفسـه الذي تطورت به الكتابة السومرية أما الفينيقية هي أول أبجدية حقيقية ونظام الكتابة عندهـم مختلف جدا عما وجد عند السـومريين والمصريين.

إنّ الأبجديـة الأصلية الفينيقية تحتوي على اثنين وعشـرين حرفا بلا أحرف علة مثلها مثل اللغة العبرية التي لاتحتوي هذه الأحرف كذلك.

ويرجّح الباحثون الرسم السامي واستخدموه، وقـد اضطرهم إلـى ذلك نشـاطهم التجاري أنّ الفينيقييـن هـم أول مـن اخترع وكثـرة تنقلهم وتعـدد علاقاتهـم بمختلـف الشـعوب يقـول بروكلمان : ((وأقدم أشكال هذه الحروف يتمثل في النقش الفينيقي الذي يرجع إلى القرن العاشر قبـل الميلاد في قبرص ويليه النصب التذكاري للملك "ميشـع" ملـك مؤاب)).(عبـد التواب، ١٩٧٧، ٣٥).

وقـد هداهـم تفكيرهم إلى ابتـكار الابجدية المنسـوبة إليهم التي تتكون مـن ٢٢ حرفاً هي الحـروف الأبجـد هـوز حطي كلمن سـعفص قرشت . وتسمّى كل هذه الحروف رمزاً صوتياً.

وقـد حاكوا في إسـلوبهم هذا بعض ما كان يشـتمل عليـه الخـط الهيروغليفـي من صور هجائيـة , بـل لقد ثبت أنهم نقلـوا من هذا الخط ثلاثة عشر حرفاً من حروفهم البالغة ٢٢ حرفا.

ومـن الحروف الفينيقية اشـتقت الحروف العبرية القديمة , ومن هذه الحروف اشتق الرسم العبـري الحديث الذي اشـتهرت تسـميته بـــ " العبـري المربع" ومـن الفينيقية اشـتقت كذلك نوعان من الرسـم قريب الشـبه بالرسم العبري الحديث , احدهما: الرسم التدمري او البالميزي والآخر: الخط النبطي.(وافي، ٢٠٠٨، ٣١).

ومن التدمري اشـتقت الحروف السريانية التي أخذت منها الخطوط المغولية والمنشورية , ومـن الخطيـن النبطـي والسـرياني اشـتقت حـروف الهجاء العربيـة .(وافي، ٢٠٠٨، ٣٠ والصافي، د.ت، ٢٢ – ٥٠).

والجـدول الأتـي يوضـح بعض اسـماء الحـروف , الاصـوات , وطريقـة رسـمها والمعادل الحديث كمـا ورد في لائحة الأبجدية الفنيقيـة التـي وردت فـي كتـاب نحـو اللغات السامية للمستشرق "موسكاتي".

اللائحة الأبجدية الفينيقية
أسماء الحروف الأصوات وطريقة رسمها والمعادلة الحديث

اللاتينية (مادة بالستر) وسكان أي الأبجدية الرومانية)		الفينيقية			
تاريخ	لاتيني	الصوت	المعنى	الاسم	الرمز
حوالي بألف عام قبل الميلاد هذا الحرف كان يستعمل لإظهار كحروف علة بعد ٩٠٠ عام قبل الميلاد اليونانيين استعارة هذا الرمز من الفينيقيين وغيروا اسمه إلى ألفا وغيروا وضعه	A	AW	ثور	أليف	∀
حوالي ألف عام قبل الميلاد هذا الحرف استعمل وقدم كحرف ساكن بعد تسعمائة عام قبل الميلاد اليونان استعاروا هذه الاشارة من الفينيقيين وغيروا شكله والاسم إلى بيتا وجعلوا هذه العلامة حرف ساكن B	B	B	بيت	بيت	□
حوالي ألف عام قبل الميلاد هذا الحرف أستعمل وقدم g ساكن استعارة هذا الرمز من الفينيقيين وغيروا اسمه إلى ألفا وغيروا وضعه.	G,C	G	جمل	جمل	0
حوالي ألف عام قبل الميلاد هذا الحرف استعمل وقدم كحرف ساكن . بعد تسعمائة عام استعاروا من الفينيقيين قلبه وغيروا شكله واسمه الى دلتا وجعلوا هذه الاشارة الى D حرف ساكن.	D	D	باب	داليث	◁
قبل حوالي ألف عام قبل الميلاد هذا الحرف استعمل كحرفw شبه ساكن . بعد تسعمائة عام استعاروا من الفينيقيين هذه العلامة وغيروا شكله وغيروا اسمه الى ديكاما وجعلوه حرف ساكن.	F	W شبه ساكن	سنارة	واو	y
قبل حوالي ألف عام قبل الميلاد هذا الحرف استخدم كحرفY شبه ساكن .وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد استعاروا من اليونانيون هذه العلامة من الفينيقيين وحركوا خطوطه وغيروا الأسم الى بوتا وجعلوا العلامة الى صوI .	I,J	Y شبه ساكن	يد	يد	⊐
حوالي بألف عام قبل الميلاد هذا الحرف كان استعمل ليقدم k ساكن بعد ٩٠٠ عام قبل الميلاد استعاروا اليونانيين هذه العلامة من الفينيقيين وغيروا اتجاها والاسم إلى كابا وجعلوا شكله k ساكن	k	K ساكن	يد	كف	⊐
حوالي ألف عام قبل الميلاد استعمل هذا الحرف ليقدم I ساكن . بعد تسعمائة عام قبل الميلاد اليونان استعاروا هذه العلامة من الفينيقيين وغيروا الاسم الى لامدا وجعلوه العلامة L ساكن.	L	L ساكن	مهماز / شوكة	لمدا	∠
حوالي ألف عام قبل الميلاد استعمل هذا الحرف وقدم كـ n ساكن وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد اليونانيون استعاروا هذه العلامة من الفينيقيين وغيروا شكله والاسم الى N u وجعلوا من هذا الرمز بدلا الىN ساكن.	N	N نون	سمك	نون	□
حوالي ألف عام قبل الميلاد استعمل هذا الحرف وقدم كـ ʒ حرف علة وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد استعاروا اليونانيون من الفينيقيين لكن من يستعملوا الصوت كـ انجلوا اوربيان انهم اسموه اوميكرون وجعلوا من هذه الاشارة صوت قصيرo	O	ʒ حرف عله	عين	عين	□
حوالي ألف عام قبل الميلاد استعمل هذا الحرف ليقدم كـ g ساكن وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد استعاروا اليونانيون من الفينيقيين هذه العلامة وغيروا شكلها وسمي بي وجعلوا من العلامة P ساكن	P	P ساكن	فم	به	7
حوالي ألف عام قبل الميلاد استعمل هذا الحرف قدم كـ q غير صوتي وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد استعاروا اليونانيون من الفينيقيين هذه العلامة وغيروا الى الاسم qoppq ولكن لم تستعمل كصوت انجلو اوربيان وقد استعملوا الى صوت k	Q	Q غير صوتي	قرد	كوف	□
حوالي ألف عام قبل الميلاد استعمل هذا الحرف وقدم كـ r ساكن وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد استعاروا اليونانيون من الفينيقيين وغيروا شكله والاسم الى Rho وجعلوا من هذه العلامة R ساكن	R	R ساكن	راس	رش	□
قبل حوالي ألف عام قبل الميلاد هذا الحرف كان استعمل وقدم كـ sh ساكن وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد استعاروا اليونانيون هذه العلامة من الفينيقيين وغيروالشكل والاسم الى سيجما وغيروا وجعلوا من هذه العلامة على شكل S	S	sh	سن	سن	w
قبل حوالي ألف عام قبل الميلاد هذا الحرف يستعمل كـ t ساكن وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد استعاروا اليونانيون هذه العلامة من الفينيقيين مع بعض التغير والاسم من تاو الى T ساكن	T	T	علامة	تاو	†
قبل حوالي ألف عام قبل الميلاد هذا الحرف كان استعمل ليقدم كـ w شبه ساكن وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد استعاروا اليونانيون من الفينيقيين وغيروا الشكل والاسم الى ابسيلون وغيروا الشكل وكان u صوتي	U.V.W	W	خطاف	واو	Y
حوالي ألف عام قبل الميلاد هذا الحرف كان يستعمل ويقدم كـ z ساكن وبعد تسعمائة عام قبل الميلاد استعاروا اليونانيون من الفينيقيين هذه العلامة كـ s وغيروا الاسم الى زيتا وجعلوا منه z ساكن	Z	سيف	زين	Z	Z

وترجع أساليب الرسم التي استعملت في مختلف اللغات إلى أسلوبين اثنين

أحدهما : أسلوب الرسم المعنوي : وهو الذي يضع لكل معنى صورة خطية خاصة .... وترجع الصور الخطية التي تستخدم في هذا الأسلوب إلى نوعين : فاحياناً تكون صوراً حقيقية للاشياء التي يراد التعبير عنها أو الأجزاء من هذه الاشياء , كما يشير الرسم الهيروغليفي إلى الشمس بدائرة وفي وسطها نقطة , وإلى القمر بقوس وفي وسطه نتوء . واحياناً تكون مجرد رموز مصطلح عليها للتعبير عن الاشياء والمعاني ,كما يشير الرسم الهيروغليفي إلى الشهر بصورة هلال في وسطه نجم , وإلى اليوم بدائرة وفي وسطها نقطة.

ثانياً : أسلوب الرسم الصوتي الذي يضع لكل صوت صورة خاصة . وقد استعمل هذا الاسلوب من الرسم في كثير من اللغات القديمة , ويُستعمل الآن في معظم الشعوب المتمدنة .(وافي، د.ت، ٢٦٩ – ٢٧١).

ويرجّح المحدثون أنّ قدماء المصريين كان أول من استخدم هذا الأسلوب بنوعيه (المقطعي والهجائي) من أكثر من ثلاثين قرن قبل الميلاد , وأنّ الفينيقيين أول من استعمل الاسلوب الهجائي.(وافي، د.ت، ٢٧).

وأكّد المختصون بالدراسات اللغوية المقارنة ان نظام الكتابة المسماريّ يشتمل على عدة مئات من الرموز ذات القيمة الرمزية , وغالبا ما تكون متعددة المعاني.(موسكاتي، ١٩٩٣، ٣٧).

يقول «موسكاتي» : ((وتشير الكتابة إلى الحروف الساكنة وحروف المد (بخلاف الحروف السامية الدالة على السواكن حسب) وهي ذات عون لا يستهان به لمعرفتنا اللغة ... ونصوص السامية الغربية شمالية وجنوبية في كتابات الفبائية ساكنة مع عدد من الرموز وعموماً أقل من ثلاثين)).(موسكاتي، ١٩٩٣، ٣٨).

والجدول الآتي وضعه موسكاتي يُظهر رسم الأصوات في اللغة السامية الأم والتغيير الذي طرأ عليها في اللغات السامية الأخرى.

السامية الام	الأكدية	الأوغاريتية	العبرية	السريانية	العربية	العربية الجنوبية القديمة	الأثيوبية
ث (ṯ)	ش(Š)	ث (ṯ)	ش(Š)	ت (t)	ث	ث	س(S)
ذ (ḏ)	ز (Z)	د (ḏ) ṯ ذ؟	ز (Z)	د (d)	ذ	ذ	ز (Z)
ظ (ṭ)	ص(Ṣ)	ظ (ṭ)	ص(Ṣ)	ط (ṭ)	ظ (Ẓ)	ظ (Ẓ)	ص(Ṣ)
ض (ḍ)	ص(Ṣ)	ض (Ṣ)	ص(Ṣ)	ع (ʿ)	ض (ḍ)	ض (ḍ)	ض (ḍ)
ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت
د	د	د	د	د	د	د	د
ط (ṭ)	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر
س	س	س	س	س(S)	س	س[٣]	س
ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
Ś	ش (Š)	ش (Š)	Ś	س(S)	ش (Š)	ش[٢]	ش (Š)
ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
ڭ (g)	گ (g)	ڭ (g)	گ (g)	گ (g)	ڭ (ğ)	ڭ (ğ)	گ (g)
ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
خ (ḫ)	خ	خ	ح (ḥ)	ح (ḥ)	خ	خ	خ
غ (ġ)	همزة	غ	ع (ʿ)	ع (ʿ)	غ	غ	ع (ʿ)
ح(ḥ)	همزة	ح(ḥ)	ح (ḥ)	ح (ḥ)	ح(ḥ)	ح(ḥ)	ح (ḥ)
ع (ʿ)	همزة	ع (ʿ)	ع (ʿ)	ع (ʿ)	ع (ʿ)	ع (ʿ)	ع (ʿ)
ه (h)	همزة	ه (h)	ه (h)	ه (h)	ه (h)	ه (h)	ه (h)
همزة (ʾ)	همزة	همزة	همزة	همزة	همزة	همزة	همزة

إنّ الحد الذي بلغه نظام : السواكن الأصلي في مختلف اللغات السامية بصرف النظر عن العلائق الاشتقاقية) مبين في الجدول الاتي :-

ولا خلـل فـي الترتيب , فيرسـم في موضع كل صوت من اصواتها الحـرف الذي يرمز إليه , ولا يوضـع فيـه حرف زائد لا يكون له مقابل صوتي ((وقد حُوفظ على هذا الاصل الى حد كبير في بعض اللغات الانسانية وخاصة القديم منها , فرسم الكلمة السنسكريتية لا يكاد يختلف في شيء عن صوتها)). (وافي، د.ت، ٢٧٣).

يقول» فولتير» : « إنّ صورة الصوت كلما كانت أكثر شبهاً به كانت خيرا « ويرى المحدثون أنّ الكتابـة المثلـى هي التـي لا تدل بالحرف على أكثر من صوت ولا تضـع للصوت الواحد أكثر من حـرف , ولـم نصل الى هذه الكتابة في لغة ما في اللغات الحية جميعها , ما يكتب ولا ينطق وما ينطق ولا يكتـب , وفيهـا حروف تؤدى عدة أصوات , وأصوات تـؤدي بعدة حروف. (الديك،١٩٩٦، ٩١). وفي اللغات الحية في عصرنا الحاضر كثيراً ما يرسم في الكلمة حرف زائد أو حروف زائدة ليس لها مقابل صوتي في النطق مثلا في العربية مائة أي « مئة « ,Loup في الفرنسية , وThumb أي "

ابهام اليد " في الانكليزية وتنطق / Thϑm/.

والسـبب في هذه الظواهر يعود إلى عوامل عدة من أهمها:

١- فـي معظـم أنواع الرسـم يوضـع لكل صوت عام حرف هجائي واحد , مع أنّ الصوت العام كثيـراً ما يندرج تحته أصوات مختلفة في مخرجها ونبرتها وقوتها ومدة النطق بها.

فالصـوت العام « للام « مثـلا ليس له في معظـم أنواع الرسـم الحديث إلّا حـرف واحد (ل «L")وهـذا الصوت يختلف نطقه باختلاف الكلمات والمواقع.

فأحياناً ينطق به مرققاً(بالله - Hole- Low) واحياناً مفخماً (Law - والله) وتارة ينطق به مضغوطاً عليه (اقسم بالله) واخرى ينطق به مرسلاً (نستعين بالله) ورسمه واحد في جميع هذه الحالات، صوت اللام العربية ينطق به مستقيماً تارة وأحياناً ينطق به ممالاً، والصوت العام.

للجيم فـي العربية حرف واحـد مع أنّه في بعض اللهجـات ينطق به مجرداً من التعطيش، وفي بعضها ينطق به معطشـاً كل التعطيش، أو بين هذا وذاك.

٢- فـي أنـواع من الرسـم يقتصـر الرمز على الاصوات الهامة ويغفل ماعداها , كأنواع الرسـم السامي إذ تغفل الرمز إلى أصوات المد الطويلة والقصيرة معاً أو إلى القصيرة وحدها.

٣- إنّ أصـوات اللغـة فـي تطـور مطرد وتغيّـر رائع . فالأصوات التي تتألف منها كلمة ما لا تجمد على حالتها القديمة , بل تتغير بتغير الأزمنـة والمناطق ... على حين إنّ الرسـم لا يسـاير النطق في هذا التطور , بـل يميل غالباً إلى الجمود على حالته القديمة , فلا يدون الكلمة علـى الصورة التي انتهت إليهـا أصواتها , بل على الصورة التـي كانت عليها من قبل . وهذا هو منشـأ الخـلاف في معظم اللغـات الأوربية الحديثة بيـن النطق الحالي لكثيـر من الكلمات وصورتها في الرسم .(وافي، ٢٠٠٨، ٢٧٤ – ٢٧٥ والنعيمي، ١٩٩٨، ٤٠).

٢- دواعـي وضـع الابجديـة الصوتيـة وضروراتها:-

يبدو أنّ اسـتعمال الرمز الكتابي للصوت اللغوي كان في أول وضعه على جانب كبير من التطابق , ولاسـيما في الصوامت غير أنّ ثبات الكتابـة وتطور الأصـوات أدى بمرور الزمن إلى تباعد بين الرمز المكتوب وما يعبر عنه من صـوت منطوق وتباينت اللغات في شـدة البعد بين الرسـم والصوت , واصبح الإملاء مشكلة دائمة من مشكلات التعليم في أكثر اللغات.

((مـن أجـل معالجـة هـذه المشـكلة على مستوى الدرس التخصصي وليس على مستوى الكتابـة اليومية حرص العلماء في الغرب على وضـع رمـوز صوتية اطلقـوا عليهـا الرموز الدولية)).(النعيمي، ١٩٩٨، ٤١).

لـذا لجـأ العلمـاء إلـى ابتـكار ابجديـة صوتية تسـتعمل رموزاً صوتية (Phonetic symbols) بعـد أن وجـدوا أن جميع اللغات

المســتعملة في نظم الكتابة العادية أبجديات معيبة وناقصة , يقول الدكتور " أحمد مختار عمر " : إنّ أبتكار الأبجدية الصوتية ((هدفها تجنب عيوب الأبجدية المســتعملة وتسجيل الكلام تسجيلاً صوتياً أو على حد تعبير " دي سوسير" " تمثيل الاصوات المنطوقة بكل دقة")). (عمر، ٢٠٠٦، ٧٣ – ٧٤).

ومــن أمثلــة ذلــك تمثيل الصوت الواحــد باكثر من رمــز : zoo و as , وتمثيل أكثر من صوت برمز واحد مثل : city و cat , وتمثيل الصوت البسيط بمجموعة رمزية مثل : th الانجليزية.(عمر، ٢٠٠٦، ٧٣).

والألفبائية الصوتية الدولية هي نظام شامل لجميع الوحدات الصوتية الموجودة في أي لغة , من ابتكار الجمعية الصوتية الدولية , وذلك كتمثيل للأصوات في اللغات المكتوبة غايتها تسجيل الأصوات اللغوية تسجيلاً دقيقاً.

وتتصــف هــذه الرموز بثبات العلاقة بين الرمز المكتــوب والصوت المنطوق , لذا وضع علماء الأصوات أبجديات صوتية هدفها تجنب عيوب الابجديات المستعملة وتسجيل الكلام تسجيلاً صوتياً.

ومن بين الأنظمة الكتابية الصوتية العديدة المســتعملة في العالم الناطق باللغة الانكليزية – نظام الألفبــاء الصوتية الدوليــة International Phonetiq Alphabet , وتعرف بتســميتها المختصرة IPA وهي أوسعها انتشاراً في العالم.

VOWELS		monophthongs				diphthongs		
		i: **sheep**	**I** **ship**	**ʊ** **good**	**u:** **shoot**	**Iə** **here**	**e I** **wait**	
	e **bed**	**ə** **teacher**	**ʒ:** **bird**	**Ɔ:** **door**	**ʊə** **tourist**	**IƆ** **box**	**ə showʊ**	
	æ **cat**	**ʌ** **up**	**a:** **far**	**ɒ** **on**	**eə** **hair**	**aI mx**	**aʊ** **cow**	
CONSONANTS	P pea	b boat	t tea	d dog	**tò** cheese	**dʒ** **June**	**k** **car**	**g** **go**
	f **fly**	**V** **video**	θ **think**	**ð** **this**	**s** **see**	**z** **zoo**	**ò** **Shall**	**ʒ** **television**
	m **mon**	**n** **now**	η **sing**	**h** **hat**	**l** **love**	**r** **red**	**w** **wed**	**j** **vos**

وقد بدأت بوادر وضع أبجدية صوتية أولية منذ القرن السادس عشر واستمرت بعد ذلك وتمثلت

بمحـاولات العلمـاء الذيـن وضعـوا اللبنـات الأولـى للأبجدية الصوتيـة الدوليـة العالمية , تمثلـت محاولاتهـم باقتراحات متعـددة أخذت اشـكالاً كثيـرة أهمها محاولـة Hart John في القرن السادس عشر التي اعتمدت الالفبائية الرومانيـة , ومحاولـة (John Willkinc 1636- 1698) الـذي قـدّم تصنيفاً للأصوات يماثـل التصنيف الحديث واخرها كانت محاولة (Thomas Smith) الـذي وضـع ألفبائيـة اسـتعملت بعـض رموزها الأبجديـة الصوتية الدوليـة الحديثة. (عمـر،٢٠٠٦، ٧٥ – ٧٦).

وفـي القـرن التاسـع عشـر ظهـرت محـاولات لوضـع أبجديـة صوتيـة قبـل الأبجديـة الصوتيـة الدوليـة ومـن اهمهـا :

١- أبجديـة Pitman و Eilis اللـذان وضعـا أبجديـة صوتية لتحل محـل النظام المضطرب للهجـاء العادي .(عمـر، ٢٠٠٦، ٧٦ – ٧٩).

٢- قام اللغـوي الدنماركي Otto Jesperson (١٨٦٠-١٩٤٣) بتشـكيل ابجديـة صوتيـة دوليـة بنظـام قائـم علـى الالفبائيـة اللاتينية. (عمـر، ٢٠٠٦، ٧٨)، وقدّم اللغوي الانكليزي Henry sweet (١٨٤٥-١٩١٢) أبجديـة اسـتعمل فيهـا الرموز الرومانية , وسـاعد في انشـاء الجمعيـة الصوتيـة الدوليـة . ووضـع نوعيـن من الأبجدية الصوتية سـميت أولهما : بالأبجديـة الصوتية الواسـعة وتمثل الفونيمات فقـط , وسـميت ثانيهمـا: بالأبجديـة الصوتية الضيقـة , وتمثل التنوعات الصوتيـة المختلفة أي الألفونـات .(عمـر، ٢٠٠٦، ٧٩).

أسسـت الجمعية الصوتية الدولية في عام ١٨٨٦م وكان الفضـل لـــ Paul Passy في تأسيسـها . وقد كان العامل المباشـر في تشكيل هـذه الجمعية الصعوبة الكبيـرة في تعليم نطق اللغـة الانكليزية عن طريـق الالفبائية وطريقة الهجـاء الأنجليزيـة الاصطلاحيـة .(عمـر، ٢٠٠٦، ٨١).

ركزت الجمعية في أول الأمر على أصول التدريـس أكثر مـن تركيزها علـى الأصوات , وكان شـغلها الشـاغل محاولة تحسـين تعليم اللغات الاجنبيـة , ولكن لوجود أعضاء لغويين بارزين في الجمعية يهتمـون بالصوتيات إكثر مـن تعليـم اللغة اتجهت الجمعيـة الى أن تكون جمعية صوتية خالصة.

اسـتعملت الجمعية في أول أمرها صيغة معدلة لأبجدية بتمان Pitmanالتي وضعها عـام ١٨٧٦م , ثـم وقع الأختيار علـى أبجدية Sweet مع أدخال بعض التعديلات عليها . وثم اختيارهـا في مؤتمر عالمي عقد في اغسـطس عام ١٩٨٨م. (عمر، ٢٠٠٦، ٨٢).

وكانت الجمعية تدخل تعديلات وإضافات على رموزهـا بين الحين والاخـر لتمثيل الأصوات الحية فـي اللغة , وليس الأصـوات الميتة التي يمثلهـا الهجاء العادي . ولجعل الأبجدية عالمية

يستخدمها كل الدارسين في جميع أنحاء العالم , وذلك بإضافة رموز لتلائم الأبجدية مع لغات متعددة مثل الزولو والبولندية والروسية والعربية , وتوالت التعديلات في الأعوام ما بين ١٥٥١-١٨٨٩م حيث وضعت آخر صورة لتلك الأبجدية. (عمر، ٢٠٠٦، ٨٣).

٣- الرمز الكتابي والصوت المنطوق (الوحدة الصوتية).

وضعت الأبجدية الدولية الصوتية رموزاً للصفات الثانوية للأصوات ومنها أصوات لرموز تختص بها لغة من دون سواها , ومن أمثلتها لتمثيل السواكن الانفجارية الاحتكاكية المركبة.

ووضعت رموزاً للدلالة على الطول الكامل ورمزه (:) , و (.) للدلالة على نصف الطول , و (′) علامة النبر توضع امام المقطع المنبور , و (″) علامة النبر الثانوي , وتعني (ɟ) الدائرة الصغيرة : طروء الهمس على الصوت و (s) تعني طروء الجهر على الصوت = z)). (عمر،٢٠٠٦، ٨٧ – ٨٨).

هناك نوعان رئيسيان من الكتابة الصوتية الكتابة الواسعة والكتابة الضيقة , إن نمط الكتابة يتوقف على الهدف منها , فاذا كان الهدف توضيح التفاصيل الصوتية بدقة استعملنا الكتابة الضيقة أما إذا كان الهدف هو تسجيل العناصر الوظيفية دونما تفصيل لجؤوا إلى الكتابة الواسعة.

ويستعمل النوع الأول الأبجدية الصوتية الدولية ويضع رموزها بين قوسين معقوفين هكذا[ ] , وتمثل رموزه على الأقل إمكانيات أصوات الكلام .

أما النوع الثاني فيستعمل الأبجدية الأصطلاحية العادية , وكل لغة تفضل نظاما كتابياً خاصاً قد لايصلح للغة اخرى , ونستعمل الأبجدية الصوتية الدولية حيث يكون ذلك مطلوبا . والرموز الفونيمية توضع عادة بين خطين مائلين هكذا // .(ماريوباي، ٢٠١٠، ٥١ – ٥٢).

ولتوضيح الفرق بين الأبجديتين نأخذ مثلاً من العربية : الفتحة الموجودة بعد الطاء في (طَلب) هي والفتحة الموجودة بعد (سَلب) يمثلان فونيما واحداً . فاذا رُمز لهما باستخدام الكتابة الواسعة كان الرمز المستخدم هو (a) . فاذا استخدمنا الكتابة الضيقة فيجب أن يرمز إلى الأولى بالرمز (â) والثانية بالرمز a)). (عمر، ٢٠٠٦، ٩٤).

وهذا التفريق يوصلنا إلى الدقة المطلوبة في قراءة أصوات اللغة بالشكل الصحيح , التي تتطلب معرفة كاملة بالتركيب الفونيمي لكل لغة.

وقد لجأ الدكتور " محمد حلمي هّليل " إلى الكتابة الواسعة عندما ترجم كتاب (الصوتيّات) لـــ " مارتيل مالمبرح " واستعمل رموزاً تعبر عن أصوات العلة في اللغة الفرنسية مثل :

[I] = رمـز صوت الحركة الفرنسـية في الكلمة الفرنسـية Lit , أو مـع أنفتاح ضئيل في طريقـة الصـوت في الكلمـة الانكليزيـة bit والالمانية bitte.

[y]= رمز لصوت , الحركة الفرنسـية في كلمة Lu))(مالمبرج، ١٩٩٤، ٣٠ – ٣٤).

وقـدّم المستشـرقون جهـوداً واضحـة في دراسـة أصـوات اللغـة العربيـة ولهجاتها مسـتعملين الأبجديـة الصوتية الدوليـة يقول " براجستراسر " : ((نحتاج إلى واسطة ووسيلة , غير الخط العربي , وذلك لأنّ الخط العربي لا يبين تمامـاً الأختلافات الجزئية للنطق , وكذلك الأبجدية اللاتينية فهي لا تفي بالغرض أيضاً)) .(براجستراسر، ٢٠٠٣، ٢٠).

وزاد المستشـرقون رموزاً أضافية متممة لتأديـة الحـروف العربيـة والحروف السـامية خاصـة يقـول براجستراسـر : ((فنشـير إلى الحـروف المطبقـة بزيادة نقطة أسـفل الحرف اللاتينـي , نحـو : (ṣ) اي الصـاد وهذه النقطة نستعملها ايضا لتادية الحاء فنكتبها : (ḥ) ومنهم مـن يسـتعملها لتأدية القـاف , فيكتبهـا : (ḳ) . والحـروف الرخوة تشـير اليها بزيـادة خطين تحت الحرف , نحو : (ḍ) و (ṯ) فالاول مخرجه مخـرج الـدال , ولكنه ليس شـديد كالدال , بل رخو , أي الذال , والثاني معناه : الثاء :

أمـا باقـي الرمـوز التـي اسـتعملها " براجستراسـر " فـي كتابه (التطـور النحوي للغة العربية) واستعملها غيره من المستشرقين فهي:

(š) اي الشين

(ǧ) اي الجيم المعطشة

(ḡ) نطق الجيم المشجرة (التشجير) ص

(ġ) الغين

(ḫ)الخاء

(ʾ)الهمزة

(ʿ) العين

(h) الهاء

(ḥ)الحاء

(ḍ) النطق العتيق للضاد وهو صوت رخو مجهور مطبق , مخرجه قريب من مخرج الدال وهو يشـبه اللام . (براجستراسر، ٢٠٠٣، ٢٠ – ٢١).

(ṕ) = ف وهـي فونيم الياء المهموسـة في العبرية والارامية .

(ḇ) = ڤ وهـي فرع فونيم الباء المجهورة في تلك اللغتين ايضا

وقـد وضـع " براجستراسـر " جـدولا للحروف العربية حسب نطقها العتيق عند قدماء النحويين والمقرئين.

الحروف ذوات الدوى، وهي قسمان:

أ- القسـم الآول : الحـروف الحلقية، وهي: ء (د) ع (c) ه (h) ح (ḥ)

ب- القسم الثاني : الحروف الفمية , [يوضحها الجدول الآتي]:

المخرج	الصفة							
	شديد				رخو			
	مجهور		مهموس		مجهور		مهموس	
أ- حروف الشفة والأسنان والحنك	غير مطبق	مطبق	غير مطبق	مطبق	غير مطبق	مطبق	غير مطبق	مطبق
من شفة أو شفتين من الثنايا واللثة	b		p		ذ d̲	ظ d̲	f	
من الحنك الأدنى من الحنك الأقصى	d ġ	ط ḍ	t k		ض ḍ غ ġ̲		t ḫ	
ب- حروف الصغيرة: المشابهة للسين المشابهة للشين					t̲		s Š	Ṣ

ووضع المستشرق " كانتينو " في كتابهِ (دروس في علم أصوات العربية) - الذي خصّه لدراسة الأصـوات العربية ولهجاتها - مخططاً وضّح فيه صـورة نطق الأصوات العربية الفصحى بالحروف اللاتينية .(كانتينو، ١٩٦٣، ٩ – ١٠).

العربية الفصحى

أ - الحروف

أ ـــئـــ ؤ..... ɔ	ر ..... r	غ ..... ġ
ب ..... b	ز ..... z	ف ..... f
ت ..... t	س ..... s	ق ..... q
ث ..... t̲	ش ..... Š	ك ..... k
ج ..... ğ	ص ..... Ṣ	ل l
ح ..... ḥ	ض ..... ḍ	م ..... m
خ ..... ḫ	ط ..... ṭ	ن ..... n
د ..... d	ظ	ه ..... h
ذ ..... d̲	ع c	و ..... w
		ي ..... y

ويرسم الحرف المشدد في العربية بواسطة حرفين لاتينيين وأما التنوين فيشار إليه بكتابة n فوق السطر نحو " مثلا" تكتب (matalan).

ب – الحركات

ـــــَـــــ ..... a ـــــِـــــ

u..... ـــــُـــــ i.....

ـــــَـــــا ..... ā ـــــِـــــيـــــ

ū ..... ـــــُـــــو ī .....

وفـي أُخريـات القـرن الماضـي أُثيرت صعاب الكتابة العربية على غرار ما أُثير حول الكتابة الفرنسـية والكتابـة الأنجليزية .(الديك، ١٩٩٦، ٩١). واندفـع فريـقٌ مـن الناس إلى الدعـوة الى العامية بعد ان بعدت المسـافة بين الفصحى والدارجة.

((وقد قامت لها حلول شـتى تتلخص في اتجاهيـن رئيسـين يرمي أحدهمـا: إلى إحلال اللاتينية محل الكتابـة العربية , ويحاول الآخر أن يعدلها على نحو يعالج مافيها من غموض أو لبس)).(مدكور، ١٩٦٢، ١٢).

يقـول المستشـرق « يوهـان فـك «: ((وجاءت أصوات في دوائر بعض دعاة الإصلاح في مصر , تنحـى بالنقد على العربية الفصيحة نفسها وتتحدث عن صيغ التعليم اللغوي بصيغة جديدة توائـم قواعد التربية اللغويـة الحديثة)) (فـك، ١٩٨٠، ٢٣٣ -٢٤٤). وعني « يوهان فـك « الدعوة للتعليـم بالعامية أو تغيير رسـم الكلمة إلى الحرف اللاتيني , التي قمعتها دوائر الدولـة التعليمية والدينية (الأزهـر) ؛ للحفاظ على هوية العربيـة (التميمي، ٢٠١٥، ١٢٠). وقد دعى «سـعيد عقـل» إلى إبـدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية , بل دعوا أيضاً إلى تأدية بعـض الأصوات العربية بحروف لاتينية مركبة على نحو ما وضع المستشرقون .

وأيّـد بعض العرب دعوى العامية , وترك التمسـك بالفصحى بحجة عدم مواكبتها للتطوّر العلمـيّ والحضـاريّ لهذا العصـر ولقد وقف الغيـارى علـى الدين واللغة من أبنـاء العروبة من فقهـاء ومثقفين وكتّاب في وجه هذه الدعوة .(وافي، ٢٠٠٨، ١٢٢، وأباظة، ١٩٦٥، ٢١٢ -٢١٤).

وقـد رُدّ علـى هـذه الدعـوات مـن داخل المجمع العلمي الذي كان «سـعيد عقل» عضواً فيـه ومن خـارج المجمع من أوسـاط المجتمع المثقـف في مصـر والعراق وسـوريا ولبنان , لكونـه يقطع الصلـة بين الماضـي والحاضر. ويـرى الدكتـور « ابراهيـم مدكـور» : ((أنّ الحـروف اللاتينية لاتتلاءم مـع طبيعة العربية لغـة الاعـراب والصـرف , هـذا إلـى أنّه أقل اختزالاً مـن الحـروف العربية وتشـغل حيزاً أكبر ونحن نعيش عصر السـرعة , ولها أيضاً صعوباتها)) .(مدكور، ١٩٦٢، ١٣).

ويؤكـد «مايـكل بريـم « : ((إنّ الفـرق بيـن العربية الكلاسـيكية والحديثـة مبالغ فيه , ولا توجـد فروقات على المسـتوى الصوتي)) .(الزعبـي، ٢٠١٢، ٢). والعربية كغيرها من لغات العالـم لها وجهان: وجه شـفوي , ووجه كتابي . وقد وقف المستشرق «ماسينون « ضد تغيّير واسـتبدال بعض الحـروف العربية مثل «الظـاء» و»الضـاد» و «العيـن» بالحروف اللاتينية .

يقـول : ((من الممكـن أن نحفظ الحروف الخاصة للعربية مثل «الظاء , والضاد , والعين « وغيرهـا دون طردهـا بنوع مـن اللاتينيات الدوليـة , كما حفظنا عبقريـة الأغاني الخاصة للقبائل العربية))(ماسينون، ١٩٦٠، ١٦٠).

واقتـرح «ماسـينون» ((أن نجـد صوراً مقتبسـة من الخط الكوفي القديـم تخلص الظاء والضـاد من النقط الفوقية , كذلك نقط الحروف الأخـرى فوقية وتحتية , وذلك لكي نسـوي بين الحروف في الاسـتقلال الشكلي)) .(ماسينون، ١٩٦٠، ١٦٠).

إنّ مـا أُثيـر حـول صعوبة اللغـة العربية وعدّهـم الازدواجيـة اللغوية فـي اللغة العربية مشـكلة لغوية لا يتناسـب والواقع اللغوي للغة العربيـة , وأي لغة من لغـات العالم الأخرى , ذلـك ؛ لأنّ اللهجات أمرٌ حتميّ وطبيعي في كل اللغات العالمية.

المطلب الثاني: الكتابة الفونيمية :

إنّ علم الفوناتيك يدرس أصوات اللغة وهي معزولـة بعيداً عـن البنية اللغويـة , ومن دون النظـر إلى السـياق الذي وردت فيـه , فيدرس حـرف (النـون) أو (الباء) مثلا ((من حيث مخرجـه وصفاتـه المختلفـة , ولاتتعرض هذه الدراسة لما قد يعتري هذا الحرف من تغيير في صفاتـه أو مخرجه عندما تتركـب في الكلمات باي وضع في أول الكلمة أو وسـطها أو اخرها أو عندمـا يجـاوره مثله أو غيره فـي الكلمة او كلمـة آخرى)) .(جبـل، ٢٠٠٦، ٢١ – ٢٢). أمـا علم الفونولوجيا فيختص بدراسـة أصوات الـكلام للغة ما ووظائفها ضمن النظام الصوتي لتلـك اللغـة ((جاء في معجم روبير الفرنسـي أنّ علـم الفنولوجيا يعتبـر الفونيم وحدة متميزة للتعبير الصوتي)).(نور الدين، ١٩٩٢، ٦٢).

الفونيم :

الفونيم هو اصغر وحدة صوتية (مجردة ذات معنى) ويتميز فونيم من فونيم اخر , وذلك بحلولـه محله , وتغييره معنى الكلمة التي حدث فيها اسـتبدل فونيم باخر كاستبدال الـ (س) في سار بـ (ص) في صار .

وهـذا ما اصطلح عالـم الفونيمات «جين أتشـن» على تسـميته في علم اللغة العام باسـم (التقابل الأصغر Minimal Contrast) أو(الثنائيـة الصغـرىMinimal pair)(احديـد، ١٩٩٠، ٤٥). وبذلـك فـان نظرة سـريعة الى كلمتـي Boy و toy فـي الانكليزيـة وهـرب وضرب في العربية نجـد تقابلاً أصغر يميزها عن بعضها البعـض من حيث الصيغة والوزن الصرفي.

ويـرى " دانيـال جونـز " أنّ الفونيـم هو عائلة لمجموعة من الأصوات تشـمل الصوت الأصلي في تلـك اللغة , مع عدد من الأصوات اللصيقة بذلك الصوت.

والصـوت فـي نظـر " دانيـال جونز " كيان عضوي ذو شكل معروف وهيئة فيزيائية محـددة , لكنه يفتقر القدرة على التغيير حسـب البيئات اللغويـة .(احديد، ١٩٩٠، ٤٧). ((أما أفـراد عائلة الفونيم الواحـد أو تلوناته المختلفة , فهي التـي لايحل بعضها مكان بعض , أي لا تتبـادل المواقع , ولاتـؤدي الى تغيير في معنى الكلمة)) .(نور الدين، ١٩٩٢، ٨٧).

وتظهـر التلونـات الصوتيـة (التنوعات النطقية) في أشـكال مختلفة حسـب الأصوات التي تجاور الفونيـم في الكلمة وهو ما اصطلح عليه بالالفون .

((و[k] الحنكية (في كلمة qui) والطبقية (في كلمـة coup) هما ايضـا مغايران لفونيم

واحد هو /k/)).(مالمبرج، ١٩٩٤، ١٧١). لذا يمكن القول بإنّ / ك / في الكلمة الأولى والثانية ألفونيين لفونيم واحد.

والفونيم لايمكن تجزئته إلى أجزاء أصغر , ولكن له متغيرات صوتية متعددة هي الألفونات . وهي خلاف (صوتي فوناتيكي) بين الوحدات المتشابهة , لا يؤثر على تحديد معنى الوحدات الكلامية , فالنون في العربية تمثل عدداً كبيراً من الأصوات النطقية الفعلية للنون , وهو ما لاتستطيع الابجدية العادية أن تمثله وهذا الأمر ((دفع باللغويين إلى محاولات إيجاد أبجدية صوتية في مقابل الأبجدية الفونيمية العادية التي تخصص لكل صوت «فونيم « مهما اختلفت تنوعاته وألوانه حرفاً واحداً يدل عليه وعلى تنوعاته النطقية ما دام لايغير في معنى الكلمة سلباً أو أيجاباً))(نور الدين، ١٩٩٢، ٤٦).

يقول المستشرق « جان كانتينو « : إنّ الخط العبري اجتهد في رسم جميع الأجراس الحركية بدقة تشبه الكتابة الصوتية في حين أهمل الرسم العربي ذلك .(كانتينو، ١٩٦٣، ١٥٥ – ١٥٦).

وقد وضع علماء العربية علامات خاصة للأجراس الحركية (الأجراس الأساسية) وهي (الفتحة والضمة والكسرة) وهي أجراس وظائفية تستعمل للتمييز بين الصيغ النحوية أو المعجمية , فهم قد ادركوا الفويرقات الصوتية بينها , وقد ذكروا من ذلك إمالة الفتحة أي إمالتهم الفتحة نحو الكسرة ونطقهم بها كـ (ā) , والفتح الشديد الذي ينزع نحو الضم اي نطقهم بها كـ (á).

وتحدث المستشرق « هنري فليش « عن كيفية نطق الحركات الأساسية في بعض اللهجات العربية بقول : ((فتصبح الضمة الخالصة (u) ضمة مفتوحة , وتصبح الكسرة الخالصة (i) كسرة قريبة من الفتحة (ممالة) e))... وذلك لا يغير المعنى في شيء . ومن ذلك الإمالة التي تجعل الفتحة الطويلة الخالصة (ā) فتحة طويلة ممالة (ā) والتفخيم الذي عُرف في الحجاز وهو الذي يجعل الفتحة الطويلة

(ā) ضمة طويلة مفتوحة (ð) .(فليش، ١٩٨٣، ٣٥).

إنّ عدد الحروف في نظام الحروف العربية (٢٨) حرفاً أصلياً , وذكر المستشرق « كانتينو « أنّ عدد الحروف في نظام العربية (٤٨) حرفاً يقول : ((عدد الحروف عند النحاة العرب يرتقى إلى مجموع ثمانية واربعين حرفاً بل إلى خمسين إذا اعتبرنا همزة بين بين تنطق بثلاث كيفيات مختلفة)) .(كانتينو، ١٩٦٣، ٣٠).

لقد جمع سيبويه بين الحروف العربية الأصلية الـ (٢٨) وتنوعات نطقها , والتي يختلف نطق الصوت الواحد فيها بحسب مجاورته لأصوات أخرى في الكلمة أو وروده في العبارة , ويختلف أيضاً لتباين المستوى اللغوي الذي ينطق فيه الحرف زماناً ومكاناً .

وهذه الحروف هي :

١- إذا كانت اللام مسبوقة مباشرة بإحدى الحروف المطبقة الاربعة وهي الصاد والطاء

والضاد والظاء وكانت متبوعة بفتحة أو بضمة لـزم التغليظ. فيجـب إذن قـراءة «فصل» و» نطلب « و» اظلم « بتغليظ اللام.

٢- وإذا كان بين الصاد والطاء فقط

(أي باسـتثناء الضاد والظاء) وبين اللام فتحة وكانت اللام متبوعة بفتحة (باسـتثناء الضمة) جاز التغليظ نحو : «صلاة» و «طاب» تُقرأن بتغليظ اللام .

٣- واذا كانـت الـلام مسـبوقة أو متبوعـة بكسـرة بطل التغليـظ ....., ومن هنـا نرى أنّ تغليـظ اللام لا يتولـد إلاّ عن وجـود الحروف المطبقة فقط وعلى شـرط إلاّ تعاكسه الحركات المجاورة . وهو كتغليظ الراء ذو أهمية صوتية صرفـة لا وظيفـة تميّزية له في تبيـن المعاني .(كانتينو، ١٩٦٣، ٨).

ويـرى المحدثون العـرب أنّ اللغة العربية الفصحى تحتوي على خمسـة وثلاثيـن فونيماً تركيبياً , موزعة على النحو الآتي :

١- ثلاثة فونيمات للعلل القصيرة

٢- ثلاثة فونيمات للعلل الطويلة

٣- فونيمان لأنصاف العلل

٤- سبعة وعشرين فونيما للسواكن .(عمر، ٢٠٠٦، ٣١٣).

إنّ الكتابة التي كُتبت بها الحروف العربية لـم تصلـح للبحـوث الصوتية التـي نهض بها علماء الغرب والمستشـرقون في مطلع العصر الحديث , لذا وضعوا رموزاً صوتية دولية تمثل كل صـوت برمز كتابي يوضح الفروق النطقية لكل صوت في الاستعمال اللغوي , كما وضعت الأبجدية رموزاً للصفـات الثانوية التي تختص بها أصـوات اللغـة العربية كالجهـر والهمس والتضعيف والتفخيـم والترقيق وغيرها ,والتي تنتـج عن المجاورة مـع الأصوات الأخرى في التركيـب , أو بسـبب التطـور التأريخي الذي أصـاب بعـض الأصـوات فعلى سـبيل المثال ((علم الفونيمات يدرس اللام المفخمة على إنّها صوت مسـتقل واللام المرققة صوت آخر , أما علـم الفنولوجيا فيرى أنّ الـلام فونيم , وترقيق الـلام فـون وتفخيمها فـون آخـر , ويربط كل سـمة من هاتين السمتين ببيئة معينة , فاللام في قولنا: (بالله) مرققة لإنّها سـبقت بكسرة , واللام فـي قولنا : (والله) مفخمة لإنّها سـبقت بفتحة , فاللام المرققة تقع في بيئة محددة غير بيئة اللام المفخمة)) .(أحديد، ١٩٩٠، ٥٧).

إنّ الـراء المفخمـة والـراء المرققـة في العربية ألفونان لفونيم واحد هو الراء , والتمييز بينهما له قيمة من حيث النطق فقط . وقد أشـار الدكتـور « إبراهيـم أنيس « إلى أنّ الفرق بين اللام المرققة واللام المغلظة هو الفرق الصوتي نفسـه بين الدال والضـاد , أو التاء والطاء غير أنّ الرسـم العربـي لم يرمز إلـى اللام المغلظة برمـز خاص تختلف بإختلافـه الكلمة , لذا يعد نوعـي اللام صوتاً واحداً .(أنيس، ١٩٩٩، ٦٤ – ٦٥).

ولـم يخصّ العرب الـلام المغلظة برمز كتابي كما هو الحـال في اللغات الأخرى , وقد وضع لها علماء الابجدية الصوتية رمزاً خاصاً هو (LL)

إنّ التفخيـم ظاهـرة صوتية تضفي دلالة هامشـية للكلمة زيـادة على الدلالـة المركزية غير أنّ تفخيم اللام فـي اللغات الاجنبية كاللغة الانكليزية مثلا يحمل دلالة مركزية تغير معنى الكلمة .

والتغييرات التي تصيب الأصوات نوعان :

١- التغيّر التركيبي

٢- التغيّر أو التحوّل التاريخي

التغير التركيبي أو (المقيد) هو مجموعة مـن التغييـرات التـي تطـرأ على صـوت من الأصـوات في لغـة ما , وتـؤدي إلـى تحويله إلى صـورة أخرى في بعض سـياقاته اللغوية, فتحافظ اللغة على الصورة القديمة في سـياقات أخـرى .(الزغبـي، ٢٠٠٥، ٨). ومثـال ذلك صوت النون (ن) فـي العربية الذي تطرأ عليه تغييرات بسـبب مجاورته لأصوات أخرى في التركيب.

أمـا التغير التأريخي (التطوري) فيعني مجموعة التغييـرات التي تطرأ على صوتٍ ما نتيجـة التحوّل في النظـام الصوتي للغة , إذ قد تـؤدي هذه التغييـرات إلى إنتـاج صوت جديد بغـض النظر عـن السـياق الذي اسـتعمل فيه .(الزغبي، ٢٠٠٥، ٨). والذي ترجع اسبابه إلى التطور والتدرج الذي تمرّ به أصوات اللغة عبر تأريخهـا الطويل . ومن أمثلـة التغير التاريخي ما حدث لصـوت الجيم ((فـأن مقارنة اللغات السامية كلها تشـير إلى إنّ النطق الأصلي لهذا الصـوت كان بغير تعطيـش , كالجيم القاهرية تماما فكلمة (جمل) مثلا في العبرية (gamal) وفي الارامية (gemla) وأما العربية الفصحى فقد تحوّل فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغـار أي من أقصى الحنك إلى أوسـطه , كما تحـوّل من صوت بسـيط إلى صـوت مزدوج ويبدأ بدال من الغار , ثم ينتهي بشـين مجهورة .(عبد التواب، ١٩٩٧، ٢٢).

وقـد جـرى علمـاء العربية على تسـمية هـذه الجيمات (حروفاً) وعدّوها حروفاً كاملة , لإنّهـا تنطق في مسـتوي لغـوي غير العربية الفصيحة .

إنّ نطـق الجيم العربية الفصيحة (jd) , والجيـم القاهرية (g) , ونطقها دالا او جيما شامية (j) , تنتمي لأسرة واحدة هي فونيم الجيم العربيـة , وكل واحدة منها تنتمي إلى مسـتوى لغوي معيـن أو لهجة معينـة .(عمر، ٢٠٠٦، ٣٣٦ – ٣٤٠).

ويرى الدكتور «كمال بشر» ((أنّه ينبغي حسبانها أصواتاً مسـتقلة , لها واقعها ودورها فـي هذا المسـتوى أو تلـك اللهجة)) .(بشـر، ٢٠٠٠، ٤٨٤). ونجـد مثـل هـذه التغيـرات الصوتيـة التاريخيـة لصوتـي القـاف والكاف العربيتان والتي عكف الباحثون المحدثون على دراسـة النطق بهما في البـلاد العربية وتتبعوا جذورهما التأريخية في اللغات السامية القديمة. (كانتينو، ١٩٦٣، ١٠ وعلي ، ٢٠١٥، ١٤٢).

وقـد حـرص المستشـرقون ومن تبعهم من المحدثين العرب على إيجاد رموز صوتية لـكل صورة نطقيـة من الصـور الصوتية في الأبجدية الصوتية العربيـة ؛ لأنهم عكفوا على دراسة اللغة العربية ولهجاتها دراسة مستفيضة ، ويعد عملهم الأساس الذي قامت عليه الدراسة

الصوتيــة للغــة العربيــة وأخواتها فــي اللغات الســامية والتي شــاعت وازدهرت في العصر الحديث .

الخاتمة:

أخــذت الكتابــة بالتطــور عبــر الزمــن فتحولت من صورٍ وأشكال إلى رموزٍ وحروفٍ تدل على الكلمات المسموعة الدالة على المعاني . غيــر أنّ ثبات الكتابــة وتطور الاصوات أدى بمرور الزمن إلــى التباعد بين الرمز المكتوب ومــا يعبــر عنه من صوت منطــوق ، وبمرور الزمن تباينت اللغات في شــدة البعد بين الرســم والصوت ؛ لذا حرص علماء الغرب على وضع أبجديــة صوتية دولية . الهــدف منها هو تجنب عيــوب الأبجديــة المســتعملة وتســجيل الكلام تسجيلاً صوتياً لتمثيل الأصوات المنطوقة بكل دقة .

والألفبائيــة الصوتيــة الدوليــة IPA هي نظام شامل لجميع الوحدات الصوتية الموجودة في أي لغة من لغات العالم تتصف بثبات العلاقة بين الرمز المكتــوب والصوت ؛ للوصول إلى قراءة أصوات اللغة قراءةً صحيحة ، وقد أسهم المستشــرقون والمحدثــون العــرب في وضع رموزٍ أضافية لتأدية نطق الاصوات في العربية الفصحــى ولهجاتهــا تمثيــلاً صحيحــاً توضّح الفروق النطقية بينها في الاستعمال اللغوي .

النتائج:

١- مرّ الرســم الكتابي بعدة مراحل تطورية إلى أن وصل الى صورته الحالية , ولايزال في تطور مستمر .

٢- بمــرور الزمن وتباعــد الأجيال , بعدت المســافة بيــن الرمــز المكتــوب , والصــوت المنطــوق , وتغيّر نطق بعــض الاصوات عما كانت عليه في الأصل .

٣- للتحــوّل التاريخــي الــذي يطــرأ على الصــوت دوره فــي تغييــر صــورة الصوت , وتختلف الأصوات فــي طريقة نطقها بإختلاف المواقع .

٤- الكتابــة المثلــى هي الكتابــة التي تضع للصــوت الواحــد رمــزاً واحــداً يــدل عليــه , لــذا وضع علمــاء الأبجديــة الصوتيــة رموزاً صوتيــة دولية ثابتــة (رمز واحــد لكل صوت مــن الأصــوات) يمثل نطق الصــوت بالفعل , وذلك لتجنب عيوب الابجدية العادية وتســجيل الصوت المنطوق بدقة وهي الطريقة المثلى في البحوث الصوتية .

٥- أدرك العلماء العرب الفويرقات الصوتية بيــن الأصوات العربية (الألفونــات) , وجروا على دراســتها في مؤلفاتهم وتابعوا استعمالها , إلا إنهم لم يضعوا لها رموزاً خاصة تمثلها .

٦- مــا أُثيــر حول صعوبــة اللغــة العربية وعــدم مواكبة الخط العربي للتطــور مبالغٌ فيه , ولايتناســب مع طبيعة اللغة العربية ومرونتها وقدرتها على التجدد والتطور .

قائمة المصادر:

الكتب :

١. ابن خلدون عبد الرحمن, المقدمة, القاهرة, دار الشعب: د.ت.
٢. ابــن زكريا أحمد بن فارس, الصاحبي في فقــه اللغة العربية, تح: الســيد أحمد صقر ,القاهرة, مطبعة الحلبي، د.ت
٣. احديد احمد ســعيد, مدخــل الى علم اللغة, ط١, ١٩٩٠.
٤. انيس ابراهيــم, الاصــوات اللغوية, ط٤, القاهرة, مكتبة الانجلو المصرية, ١٩٩٩.
٥. اوســتلر نيقولا, امبراطورية الكلمة تاريخ اللغــات في العالــم تر: د. محمــد توفيق,

بيروت, دار الكتاب العربي, ٢٠١١.
٦. براجستراسر, التطور النحوي للغة العربية, قدمه وعلق عليه: د. رمضان عبد التواب, ط٤, مصر, مكتبة الخانجي, ٢٠٠٣.
٧. (بروكلمان كارل , فقه اللغات السامية, تر : د. رمضان عبد التواب , ط١ , مطبوعات جامعة الرياض , ١٩٧٧.
٨. بشر كمال, علم الاصوات, القاهرة, دار غريب للطباعة, ٢٠٠٠.
٩. جبل محمد حسن حسن, المختصر في اصوات العربية, ط ٤, القاهرة, مكتبة لآداب, ٢٠٠٦.
١٠. دي سوسير فردينان, علم اللغة العام, تر: د. يوئيل يوسف عزيز, العراق, بيت الموصل، ١٩٨٨.
١١. الديك احسان خضر, دراسات في اللغة والادب, ط٢, الاردن, عمان ١٩٩٦م.
١٢. الزعبي امنة , التغير التاريخي للاصوات, ط١، الاردن, دار الكتاب الثقافي, ٢٠٠٥.
١٣. الزعبي صالح موسى، التحليل الصوتي للغة العربية عند المستشرقين, مايكل بريم نموذجا, ط١, الاردن, عالم الكتب الحديث, ٢٠١٢
١٤. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر, الكتاب سيبويه, اعتنى بتصحيحه هرتويغ درنبرغ, المطبع العلمي الاشرف, باريس, ١٨٨٥
١٥. الصافي سمير, الابجدية السامية, ط١، د.ت.
١٦. عبابنة يحيى, اللغة المؤابية في نقش ميشع, ط١، الاردن, منشورات عمادة البحث العلمي والدراسات العليا, جامعة مؤتة, ٢٠٠٠.
١٧. عبد التواب رمضان, المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي, ط٣, القاهرة, مكتبة الخانجي, ١٩٩٧.
١٨. فك يوهان, العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب, تر: رمضان عبد التواب, ط٢, مصر, مكتبة الخانجي, ١٩٨٠.
١٩. فليش هنري, العربية الفصحى, تر: د. عبد الصبور شاهين, ط١, بيروت, دار المشرق, ١٩٨٣.
٢٠. كانتينو جان, دروس في علم اصوات العربية, تر: صالح القرمادي, ط١, الجامعة التونسية,١٩٦٣.
٢١. مالمبرج برتيل, الصوتيات, تر: د.محمد علي هليل, ط١, مصر, عين للدراسات والبحوث, ١٩٩٤.
٢٢. ماريو باي, اسس علم اللغة, تر: احمد مختار عمر, ط٦, عالم الكتب, القاهرة, ٢٠١١.
٢٣. موسكاتي سباتينو , نحو اللغات السامية المقارن , تر : مهدي المخزومي و عبد الجبار المطلبي ، ط١, لبنان, عالم الكتب، ١٩٩٣.
٢٤. ناصف حفني, تاريخ الادب أو حياة اللغة العربية, ط ٣, القاهرة, ١٩٧٣.
٢٥. النعيمي حسام سعيد , أبحاث في اصوات العربية ,بغداد , دار الشؤون الثقافية ,١٩٩٨.
٢٦. د.نور الدين عصام, علم وظائف الأصوات اللغوية/ الفنولوجيا, الدين, ط١, بيروت, دار الكتاب البناني, ١٩٩٢.

٢٧. نولدكه تيودور، اللغات السامية, تر: رمضان عبد التواب, القاهرة, المطبعة الكمالية, ١٩٦٣.
٢٨. وافي علي عبد الواحد, علم اللغة, ط ٩, القاهرة، مطبعة نهضة مصر, د.ت .
٢٩. وافي علي عبد الواحد, فقه اللغة, ط ٦, القاهرة, مطبعة نهضة مصر, ٢٠٠٨.

الاطاريح والبحوث :

١. علي بشرى حسين,اطروحة (الصوتيات النطقية العربية في دراسات المستشرقين), جامعة بغداد, كلية التربية ابن رشد , ٢٠١٥م.
٢. أباضة عزيز , بحث (الفصحى والعامية من زاوية واحدة), مؤتمر القاهرة دورة ٣٢ , ١٩٦٥.
٣. التميمي عذراء محمد راغب ، بحث (نظرية المستشرق فك تيار العامية ومجاورتها العربية الفصيحة بين التاريخانية والتأصيل) , بغداد ,مجلة كلية اللغات ,ع ٣١ , ٢٠١٥.
٤. ماسينون لويس , بحث (قيمة الخط العربي لتأسيس فن النقش المجرد), القاهرة , مجمع اللغة العربية , ج ١٢ , ١٩٦٠.
٥. (مدكور ابراهيم , بحث (الادب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف) , القاهرة , مجمع اللغة العربية , ج١٤ , ١٩٦٢ .
٦. مصطلح السامية : اول من استعمل المصطلح العالم النمساوي شلوتسر في ابحاثه وتحقيقاته في تاريخ الامم الغابرة سنة ١٧٨١م (نولدكة ١٩٦٤م:٨ ولفنسون١٩٨٠ :٩) اعتماداً على جدول تقييم الشعوب الوارد في التورات .
٧. نزحت الشعوب الكنعانية على الراجح من القسم الجنوبي الغربي من بلاد العرب كما سبقت الاشارة الى ذلك وقد استقرت ببلاد فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر الابيض المتوسط , وانشأت بعض المناطق قبل ان ينزح اليها الآراميون باكثر من الف سنة حضارات زاهرة وممالك قوية كان لهم شأن كبير في التاريخ القديم ./ فقه اللغة : ص٣ , د. علي عبد الواحد وافي وينظر : بيان اختلاف العلماء في وطن الساميين الاول ص٩.
٨. نزحت الشعوب الكنعانية على الراجح من القسم الجنوبي الغربي من بلاد العرب كما سبقت الاشارة الى ذلك وقد استقرت ببلاد فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر الابيض المتوسط , وانشأت بعض المناطق قبل ان ينزح اليها الآراميون باكثر من الف سنة حضارات زاهرة وممالك قوية كان لهم شأن كبير في التاريخ القديم ./ فقه اللغة : ص٣ , د. علي عبد الواحد وافي وينظر : بيان اختلاف العلمان في وطن الساميين الاول ص٩.
٩. سومر كانت اول حضارة تطورت في العالم ونهضت في المنطقة التي تسمى الان العراق بين نهري دجلة والفرات.
١٠. مصطلح السامية : اول من استعمل المصطلح العالم النمساوي شلوتزر في ابحاثه وتحقيقاته في تاريخ الامم الغابرة سنة ١٧٨١م (نولدكة ١٩٦٤م:٨ ولفنسون,لاتا :٩ , بروكلمان١٩٧٧م) اعتماداً على جدول تقييم الشعوب الوارد في التورات.
١١. سومر كانت اول حضارة تطورت في العالم ونهضت في المنطقة التي تسمى الان العراق بين نهري دجلة والفرات.
١٢. اطلق براجستر هذه التسمية على التغير التركيبي , ينظر التطور النحوي للغة العربية : ٥٧.